

قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية

د. بوعزة صالح

وحدة بحث " تنمية الموارد البشرية"

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

ملخص:

لا أحد يشكك في أن العولمة أصبحت أمرا واقعا اليوم ، وأصبح لزاما على الكثير من المجتمعات السياسية إعادة النظر في مسلماتها التربوية والثقافية والأخلاقية بقصد التكيف والمشاركة في إنتاج الثقافة الإنسانية ، وكان من الواجب على رجال التربية اليوم مراعاة القيم الجديدة التي فرضتها الحياة الراهنة من جهة ، ومن جهة أخرى لكون الشعوب تختلف بمقوماتها ومميزاتها ، ولا بقاء لأمة إلا ببقاء مقوماتها ومميزاتها ، ولا حل لمشكلات الحاضر واستشراف المستقبل ما لم يتأسس في جانب منه على مُعطيات الموروث الثقافي للمجتمع ؛ ولأننا لنا اليوم من استنطاق فكر مالك بن نبي واستقراء فلسفته ومنهجه التربوي بغية إيجاد حل لمشكلة العولمة بما تحمله من دلالات الوحدة والشمولية وطمس حدود المجتمعات السياسية وخصوصياتها الثقافية. إن مالك بن نبي يمتلك مشروعا تربويا مجتمعيًا وإنسانيًا متكاملًا ، له منابعه الفلسفية ، وأهدافه ، ومناهجه ووسائله العلمية في بناء الفرد وإصلاح المجتمع العربي، فالفكر التربوي لدى مالك بن نبي فكر أصيل صادر عن مفكر واع بمتطلبات التغيير يجمع بين مقتضيات الأصالة ومُتطلبات المعاصرة ، ويجعل ما هو عالمي متوقفا على ما هو خصوصي دون انغلاق على الذات ، وقد سبق عصره و أقرانه في ذلك، ونحاول من خلال هذه المداخلة أن نستنطق هذا الفكر التربوي الانساني والوقوف على تجربة بن نبي الرائدة ومنهجه في المجال الانساني والاجتماعي في الجزائر خصوصا والوطن العربي عموما .

الكلمات المفتاحية: مقارنة- بناء - إصلاح - العولمة الثقافية

Résumé :

Aucun ne pourra nier que la mondialisation est devenue une réalité, et que tant de sociétés politiques doivent revoir leurs postulats éducatifs, culturels et morales afin de s'adapter et participer dans la production culturelle universelle, et qu'il est du devoir aux gens de l'éducation d'aujourd'hui prendre en compte les nouvelles valeurs imposées par la vie actuelle d'une part, et d'autre part parce que les peuples se différencient de leurs caractéristiques, et aucune nation ne pourra durer sans ses valeurs, et il n'y a aucune solution des problèmes actuels ni prévoyance du futur sans un fondement sur des données culturelles héritées par la société en question, et il est impératif aujourd'hui de lire et tirer des solutions à partir de la pensée et la philosophie, dans le but de trouver solution au problème de la mondialisation avec ce qu'elle porte comme indices de l'unité et de la globalité et la suppression des frontières entre sociétés politiques et ses caractéristiques culturelles. Malek Ben Nabi possède un projet éducatif sociétal et humaniste intégral, qui a ses sources philosophiques, ses objectifs, ses méthodes et ses moyens scientifiques pour construire l'individu et redresser la société arabe, car la pensée éducative chez Malek Ben Nabi est une pensée originale issue d'un penseur au courant des demandes de changement qui additionne l'originalité et la modernisation, et il nie tout égocentrisme, et il a dépassé ses pairs et son époque, et nous essayons dans cette communication de faire parler cette pensée éducative et faire le point sur l'expérience de Malek Ben Nabi dans les domaines social et humain en Algérie et dans le monde arabe en général.

Mots clé : Approche — construction- redressement - mondialisation culturelle

مقدمة:

إن مالك بن نبي شخصية فذة دخلت التاريخ من بابه الواسع وعرفت كيف تربط وتناغم بين العناصر الحيوية في الحياة والمتمثلة في (التراب- الإنسان- الثقافة) و تمزج هذه العناصر بالثقافة ليعطي- بن نبي- بذلك مفهوما للحضارة ، فهو يسعى من خلال أفكاره وتوجهاته إلى صناعة رجال الحضارة والتميز بين بشخصياتهم وثقافتهم عن الحضارة الغربية ومقوماتها، ولا يتأتى له ذلك إلا عن طريق التربية للأفراد والمجتمعات على هذه الثقافة الأصيلة الضاربة بجذورها في عمق التاريخ ، اتخذها -بن نبي- منطلقا لتحليل وتشخيص واقع الأمة واقتراح الحلول لمعالجة مشكلاتها والعمل على نهضتها ، وفي هذا الإطار يأتي هذه المقال لتسليط الضوء على الفكر التربوي لدى مالك بن نبي ومنهجه في بناء الفرد والمجتمع في ظل الحضارة الإسلامية ، من خلال التطرق إلى بعض العناصر ذات العلاقة بالموضوع وذلك بهدف التصدي لخديعة ما يسمى بالعولمة الثقافية التي أدرك مالك بن نبي خطورتها-كونه سبق جيله-لأنها في الحقيقة ليست هي إلا صورة للاحتواء والغزو الثقافي بشكل جديد. وما أحوج مجتمعنا العربي المعاصر- والجزائري خصوصا- الى فكر مالك بن نبي الذي يقدم اجابات موضوعية لفكرة العولمة الثقافية ، وكيف يمكننا الاستفادة منها في المشروع التربوي الاصلاحى لمالك بن نبي دون مواجهة تقود الى صراع حضاري.

ولتحقيق الهدف من الدراسة تم اعتماد أسلوب تحليلي ، من خلال الاطلاع على كتب مالك بن نبي بصفة عامة، و الكتب المترجمة على وجه الخصوص لأجل الوقوف على منهجه التربوي والإصلاحى وتقديم قراءة موضوعية لأفكاره التي تقدم مشروعا للبناء الحضاري والتعايش السلمي

ومن ثم تقويم جهد مالك بن نبي- الذي يضاف الى جهود المصلحين- ومساهمته في الجانب التربوي والإصلاحي في المجتمع العربي. ولتحقيق الهدف المرجو نعالج هذا الموضوع من خلال العناصر التالية:

1- فكر مالك بن نبي بعيدا عن الفكر المييت و الفكر القاتل:

ولد الأستاذ مالك بن نبي في 05 ذو القعدة 1323هـ الموافق ل 01 يناير 1905م بمدينة قسنطينة ثم انتقلت أسرته إلى مدينة تبسة ، ثم لحق بها بعد فترة قضاها في قسنطينة عند أقاربه ، وفي تبسة حفظ ما تيسر من القرآن الكريم وأتم تعليمه الابتدائي والمتوسط (الإعدادي) ، وأكمل دراسته الثانوية في قسنطينة التي أنهىها عام 1925 م ، وفي هذه المرحلة من الشباب – القريبة من مرحلة النضج- بدأ يتكون وعيه متأثرا في ذلك بالحركة الإسلامية التي كان يقودها عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ، والتي تنم عن صحوة فكرية بالدرجة الأولى هدفها تحرير وتغيير عقول الجزائريين بتخليصهم من فكر الشعوذة والعقيدة الباطلة أو التراث الوثني (الفكر المييت) كما سماه الدكتور عبد العزيز الخالدي الذي كان محروسا من طرف فئة فرضت على الجزائريين رهبانية ما أنزل الله بها من سلطان ، كما هدفت هذه الصحوة إلى تحصينهم ضد الفكر الصليبي اللاتيني الذي يستهدف محو الشخصية الجزائرية العربية الاسلامية ، وقد أطلق عليه الدكتور عبد العزيز الخالدي (الفكر القاتل) (عبد العزيز الخالدي،(بدون تاريخ):10)

ونسجل هنا تأثير مالك بن نبي بفكر ابن باديس ، حيث اعتبر بن نبي – فيما بعد- حركة الامام بن باديس (بداية معجزة البعث في الجزائر) كما أن منهجه في التربية والإصلاح الاجتماعي لا يبتعد كثيرا عن منهج بن باديس، فكلاهما يتخذ الثقافة والفكر أداة للإصلاح والتغيير ، كما أن

كليهما ينطلق من بناء الأفراد إلى إصلاح وتغيير المجتمعات، حيث يقول مالك بن نبي (استيقظ المعنى الجماعي، وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب)

كما سمي ذلك النهج الصغير الذي كان يوجد به مكتب الإمام ب (شارع الفكر) كما أن ما قام به بن نبي في رحلة العمل إلى مدينة آفلو وإدخال مجلة الشهاب إلى أهلها دليل على هذا الارتباط بين الأستاذين .
وقد تفتنت الإدارة الاستعمارية إلى خطورة فكر مالك بن نبي المتشبع بالثقافة الإسلامية على تواجدها واستقرارها - وهو يزاول دراسته بالمدرسة - لأنها تعتبر أن الشرور الفكرية أكثر إزعاجا وأخطر من الشرور المادية التي تعبر عن كل أشكال الرفض المادي للاستعمار من أساليب التخريب والتكسير... الخ فلجأت إلى أسلوب التضييق عليه، فوضعت قراءاته تحت المراقبة. حيث وضعت بن نبي تحت طائلة الضغط النفسي، حيث تواصل هذا التضييق والرقابة فيما بعد 1930 م في رحلته إلى فرنسا لمواصلة دراسته حيث منع من دخول معهد الدراسات الشرقية، فسجل في مدرسة اللا سلكي، حيث تخرج منها مهندسا سنة 1935 م، ولعل تواجده بفرنسا واحتكاكه بالمغتربين والمجتمع الغربي هناك ولد لديه رغبة ودافعية أكبر في التحدي وعدم الاستسلام ، وحفزه على مواصلة النشاط الفكري والثقافي.

وإن انتقال بن نبي للعمل في المحكمة في مدينة آفلو 1927م ثم رجوعه إلى شلغوم العيد- الذي كان مركزا للاستعمار- وذلك قبل رحلته إلى فرنسا، شكل لديه تجربة ومقارنة حول الأرض والإنسان ساهمت فيما بعد في تشكيل فكره وتصوره نحو مفهوم الحضارة وعناصرها.

إن تلك التجربة الفكرية والميدانية العميقة والعنيفة بأبعادها الروحية والفكرية والاجتماعية شكلت فكر مالك بن نبي حول مفاهيم مرتبطة بالإنسان والثقافة والحضارة و استطاع من خلال - عقيدة الإسلام الموحدة وفكره المنفتح على العقل وروحه الاجتماعي - أن يحدث نقلة نوعية في الفكر الإسلامي الحديث كما أن فهمه الدقيق لروحي الحضارتين الإسلامية والغربية والاستيعاب العميق لأسسهما الفكرية مكن مالك من مواجهة الحضارة الغربية ، غير أن بن نبي يعتبر المشكلة في المسلمين (محمد الهادي الحسني، 1994) .

فحسب مالك بن نبي السبب يرجع ذلك إلى انحراف فكري أخرجنا عن الطريق ، ومهما تكن إرادتنا الاجتماعية غير قادرة على بناء مستقبلنا الاقتصادي والاجتماعي ، فان بن نبي قدم توصيفا للخروج من الأزمة من خلال دراساته لجهود التنمية الاجتماعية والاقتصادية من زاوية الفعالية التي تتناول بناء الإنسان في إطار ثقافة تستجيب لمعطياته وأصالته.

2- التخصص العلمي في تشكيل فكر مالك بن نبي:

لقد أشرنا سابقا الى أن الدبلوم الذي تحصل عليه بن نبي كان في الهندسة الكهربائية، وقد ساعده هذا التكوين على هندسة عالم الأفكار، وكما أن الكهرباء تفيد الإضاءة والإنارة من ناحية فإنها من ناحية أخرى تعرض الأشخاص إلى مخاطر الالتهاب والاحتراق والقتل، فكذلك الأفكار، فيها النير المضيء، وفيها المظلم الذي يورث التعتيم في الفكر والحضارة.

والجدير بالذكر هنا أن مهمة المهندس تختلف عن مهمة الكهربائي، فالكهربائي يقوم بتصليح الأسلاك وإعادة الشحن وإعادة التيار الكهربائي إلى مجراه الطبيعي من أجل إعادة الإضاءة وسلامتها. أما المهندس فهو الذي يهندس ويصمم لتصليح الخلل والإنارة ويخطط للشحن

الكهروطيسي وينبه إلى الإخطار ويضع الفواصل الأمنية العازلة ويتعامل مع الطاقات المركزية والمولدات الرئيسية... الخ
فإذا اعتبرنا أن الأسلاك بمثابة الأفكار والشحن بمثابة الحوافز والتيار بالاتجاهات الفكرية أو الصراع الفكري، والإضاءة مثلا بالفعاليات، والحقل الكهربائي بالحقل الفكري، والفواصل العازلة بقواعد الصراع... الخ

وفي عالم الجراحة ندرك أن جراحة الأبدان أهون وأيسر من جراحة الأفكار وتشريحها ، فعلى عكس جراح الأبدان فان المفكر الجراح وقته غير محدود وهو دائم التجنيد والرصد ملتزما جانب الحذر واليقظة، لان العلل ليست دائما معروفة ولا العليل، والشبهات كثيرة والنوايا مجهولة، والعوامل المؤثرة عديدة، والعلل مركبة تركيبيا مخططا من قبل مهندسين مختصين في الصراع الفكري والحضاري والسياسي ... (محمد البشير مغلي، بدون سنة)

3- مركزية البعد الثقافي في المنهج التربوي لمالك بن نبي:

لقد استطاع مالك بن نبي أن يبلور نظرية في الثقافة، وظل يلفت النظر والاهتمام لنظريته تلك ، وذلك منذ أول كتاب له تحدث فيه عن الثقافة، وهو كتاب (شروط النهضة) الصادر باللغة الفرنسية في باريس عام 1949م الى كتابه الذي خصصه لهذه القضية وهو كتاب (مشكلة الثقافة) الصادر باللغة العربية في القاهرة عام 1959م، وهكذا في الحديث عنها من خلال المحاضرات التي ألقاها في القاهرة ودمشق وطرابلس، وفي الجزائر بعد الاستقلال. ولقد عالج بن نبي مشكلة الثقافة من ناحيتين هما : التحليل النفسي للثقافة والتركيب النفسي للثقافة، وستناول هذين المفهومين كما يلي :

أ.التحليل النفسي للثقافة : ركز في هذا البعد مالك بن نبي على بعض الملامح التاريخية التي ساهمت في تكوين مفهوم الثقافة، ومصدر هذه الكلمة ومتى تم استخدامها في اللغة العربية وكيف تبلور هذا المفهوم عند الأوروبيين. ولم يكن التحليل التاريخي للثقافة إلا مدخلا تمهيديا لتأكيد فكرة أن كل مجتمع بحاجة إلى تكوين مفهوم مستقل وخاص به لطبيعة مشكلته الثقافية وذلك حسب مرحلته التاريخية، وان هذه الملاحظة – حسب بن نبي- لم تكن لتنبني على اعتبارات دينية أو سياسية، بل هي قائمة على اعتبارات فنية خالصة (مالك بن نبي، 2000: 139)

وان حديث بن نبي عن التحليل النفسي للثقافة كان بقصد تعميق التمايز الثقافي ، بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، ولهذا فقد اعتنى مالك بن نبي كثيرا بمناقشة أفكار رواد الفكر الليبرالي ورواد الفكر الاشتراكي التقدمي . ولذلك فان منهج بن نبي في بناء الشخصية الإسلامية -إنسان الحضارة نظرا لارتباط الثقافة عنده بالحضارة أكثر من ارتباطها بالعلم- يختلف عنه عند مفكري الغرب والشرق على حد سواء .

هذا من حيث المنهج والموقف العام، ومن حيث المعرفة وتحديد الموقف المعرفي أو الرؤية العلمية تجاه الثقافة فانه يتحدد أيضا على قاعدة التمايز والاستقلال الثقافي، وما يؤكد هذا التمايز الثقافي هو أنه لا ينطلق من خلفية القطيعة والانقطاع الكلي والتام مع الثقافات والفلسفات الأوروبية، كما أنه لا يتشكل على خلفيات ساذجة من حيث التكوينات المعرفية والمنهجية (زكي الميلاد، 2011: 166-172)

ب- التركيب النفسي للثقافة : من الحديث عن التحليل النفسي للثقافة، ينتقل بن نبي إلى الحديث عن التركيب النفسي للثقافة لمعالجة مشكلة الثقافة من زاوية أخرى، وعلى قاعدة التمايز الثقافي، والتباين في مستويات التطور الحضاري، ويرى بن نبي أن مشكلة الثقافة –بين العالم العربي والإسلامي والعالمين الغربي والاشتراكي - لا تكمن في محاولة فهم الثقافة، وإنما منحصرة في تحقيقها وتمثلها بصورة عملية وتطبيقية وهذا ما يقصده مالك بن نبي بالتركيب النفسي للثقافة .

و الملاحظ هنا أن بن نبي - وهو يتمثل شخصية عالم الاجتماع - فضل استخدام مصطلحات علم النفس مع أن منهجه في البحث أقرب إلى علم الاجتماع. ويحاول الدكتور زكي الميلاد إزالة الغموض الذي يكتنف هذين المفهومين: التحليل النفسي للثقافة و التركيب النفسي للثقافة، فعبرة التحليل النفسي للثقافة يراد منها الإجابة عن سؤال كيف نفهم الثقافة؟ وعبرة التركيب النفسي للثقافة يراد منها الإجابة عن سؤال: كيف نطبق الثقافة؟ أو كيف يكون للثقافة واقع فعلي في حياتنا؟

والبدء من التحليل النفسي للثقافة لأنه لا بد أولاً من تحديد فهم الثقافة، الفهم الذي يحتاج إلى منهج يحدد طبيعة ومحددات هذا الفهم للثقافة، الذي يفترض أن يتناغم ويستجيب للشروط التاريخية، ودرجة التطور الحضاري، ونوعية المشكلة الاجتماعية. وهذه الطريقة في النظر هي التي يصطلح عليها ابن نبي بالتحليل النفسي للثقافة.

والعمل على تحويل هذا الفهم للثقافة من حيز النظرية وعالم الأفكار، إلى حيز الواقع وعالم التطبيق، بحيث تتصل الثقافة بالمجتمع، ويتصل المجتمع بها، هذه المهمة، يصطلح عليها ابن نبي بالتركيب النفسي للثقافة .

و محاولة فهم الثقافة يحددها ابن نبي في إطار التاريخ، وتطبيق الثقافة

يحددها في إطار التربية(زكي الميلاد، 2011 : 172-174)

و هذا بطبيعة الحال يقودنا إلى توظيف الثقافة كعامل محوري في أي عملية تربوية تهدف إلى التغيير وبناء الإنسان الحضاري من منظور الأسس الفلسفية لهذه الثقافة. وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر المتعلق بالتربية- الاستثمار في الرأس مال البشري - في المجتمعات العربية و الإسلامية. و قبل الحديث عن التربية نتناول موضوع المعرفة وما يرتبط بها من إشكالات قبل مباشرة أي عملية تربوية هادفة.

4- نظرية المعرفة عند مالك بن نبي:

كما هو معروف أنه لا يمكن لأي عالم أن يقيم نظرية ذات بعد فلسفي أو حضاري، إلا أن يكون له حضورا في قضايا (مشكلة المعرفة) ويمكن تحديد ذلك من خلال الاجابة عن المشكلات التي تثيرها نظرية المعرفة فيما يلي :

أ-طبيعة المعرفة الانسانية

ب-مصادر المعرفة

ج-حدود المعرفة وامكاناتها

5-طبيعة المعرفة الانسانية ومصادرها ومذاهبها :

يرى فريق من الفلاسفة أمثال -أفلاطون، ديكارت في الفلسفة الحديثة- أن مصدر المعرفة من طبيعة عقلية، وبالتالي فان معيار الحقيقة هو العقل الذي أنتج المعرفة. أما الأطروحة الثانية فتتمثل في المذهب البراغماتي للفيلسوف الأمريكي (بيرس) و(وليم جيمس) و(جون ديوي) ،

وهي ترى أن الحقيقة تقاس بمعيار المنفعة . أما الاتجاه الثالث (ابن خلدون، كانط ...) فيجمع بين العقل والواقع والمنفعة في معيار واحد، فهو ينظر إلى الحقيقة نظرة تكاملية .

وتبعاً لتحديد طبيعة المعرفة، ونتيجة لازمة لها، انقسمت المدارس الفلسفية في تحديد مصادر المعرفة إلى مذاهب كما يلي :

أ. المذهب التجريبي (ديفيد هيوم) ، (جون لوك) :

مصادر المعرفة هي الخبرة الحسية، ووسيلة اكتسابها هي الحواس وحدها.

ب. المذهب العقلي:

لا ينكر دور الحواس ولكن لا يجعلها مصدراً صادقاً للمعرفة ، ولذلك فلا بد من وجود العقل كمصدر صادق للمعرفة .

ج. المذهب النقدي (كانط): (الجمع بين المصدرين المتقدمين)

6- المصدر الإسلامي للمعرفة وخصائصه عند مالك بن نبي:

لقد أصبح مفهوم (أسلمة العلوم، أو أسلمة المعرفة، النظام المعرفي الإسلامي ...) من المفاهيم السائدة والمتداولة في الأوساط الإسلامية، وقد عرف الدكتور عماد الدين خليل مفهوم أسلمة المعرفة بكونها (ممارسة النشاط المعرفي كشافاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة) أما الدكتور طه جابر العلواني فيقول (أسلمة المعرفة تمثيل الجانب الذي يمكن أن نطلق عليه الجانب النظري من الإسلام، أو الجانب المعرفي الذي يقابل الجانب النظري في سواه)

و إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل تمت معالجة نظرية

المعرفة عند مالك بن نبي عند باحثين متقدمين ؟

في سياق الاجابة عن هذا السؤال لا بد من التنويه بالجهد المبذول من طرف الدكتور زكي الميلاد في تحليله (نظرية الثقافة عند مالك بن نبي) تحت عنوان (نحو قراءة معرفية جديدة) حيث تناول الباحث بالخصوص الفرق بين الثقافة والعلم وبين خطورة الخلط بينهما في المجال الفكري، وعلى هذا الأساس تصبح الثقافة كما يقول نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة .

أما الدكتور مصطفى عشوي في مقال له تحت عنوان (إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي) فقد أبدع في عرض الجوانب الأساسية في الإنسان في فكر مالك بن نبي والمتمثلة في: (الجانب الروحي- الجانب الجسمي- الجانب الوجداني - والجانب العقلي) وفي الجانب العقلي أورد بعض الملامح عن مشكلة الأفكار عند مالك بن نبي، وبالخصوص علاقة الأفكار بالعمل أو ما عرف عنده بالمنطق العملي. وللإجابة عن الإشكالات السابقة نقوم بعرض خصائص مشكلة المعرفة، والتي تعد مدخلا مهما للموضوع، ونتطرق إلى هذه الخصائص كما يلي:

أ- أن فكر مالك بن نبي خارج التصنيف المعرفي المألوف- المشار إليه سلفا؛ يمكن القول أن مشكلة المعرفة عند بن نبي ارتقت إلى مستوى (البناء الشمولي) و(النظرية الكاملة المحكمة) فلا يمكن تصنيف الفكر على أنه مثالي، ولا هو مادي، ولاهو عقلي، ولا هو حسي، والصفة التي يمكن أن تستوعبه هي أنه (عالم مسلم إنساني) .

ب- تصور و نظرة بن نبي إلى الكون:

لقد عالج بن نبي هذه القضية في كتابه (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) تحت عنوان " الإجابتان عن الفراغ الكوني " ويوظف بن نبي قصة (روبنسون كروزو) للتعبير عن الأشياء وينحونحو (المعرفة المادية)

والمذهب التجريبي الحسي، و(حي بن يقظان) حيث ينحو (ابن الطفيل) إلى الجواب عن سؤال الكون بطريقة عقلية تصاعدية من الروح إلى (خلود الروح)، وأخيرا الى فكرة خالق، وهو ما يذكرنا بالمذهب الشمولي الإسلامي الكوني (إنصاف أحمد(بدون تاريخ):27)

ج- العوالم الثلاثة عوضا عن مصادر للمعرفة عند بن نبي: انطلاقا من مصادر المعرفة السابقة والتي انقسم فيها الفلاسفة والمفكرون الى ثلاثة مذاهب (التجريبي الحسي- العقلي- النقدي الذي يجمع بين الحس والعقل) واعتمد في ذلك على مناهج الابستمولوجية بخاصة ما عرف عند بياجيه في حديثه عن مراحل نمو الطفل حسب مباحث علم النفس التربوي، ثم تعميم ذلك على مراحل نمو البشرية .

ومن هذا المنطلق نسب بن نبي في مرحلته الأولى - الحس حركية - وعبر عن ذلك بعالم الأشياء، ثم نسب إليه في مرحلة ثانية نوعا من التجرد عن الحس وبداية الارتباط بالعقل - مرحلة العمليات المادية - وهو ما عبر عنه بعالم الأشخاص، وتأتي المرحلة الثالثة والأخيرة مرحلة النضج -مرحلة العمليات المجردة عند بياجيه- وفيها يرتبط الطفل بعالم الأفكار عند مالك بن نبي، حيث يبدأ الطفل في "تكوين روابط شخصية مع مفاهيم تجريدية " (محمد بابا عبي،2011: 215)

د- تأملات في العوالم الثلاثة: الأفكار والأشخاص والأشياء عندما تتفشى في المجتمع ظاهرة الانفصال بين الأفراد، ويحاول كل إنسان العمل أو التفكير أو التخطيط بمفرده، حينها يمكن أن نعلم سبب الداء: استيلاء "الأنا"وتحكمها في الفرد، وبالتالي تغييب الروح الجماعية التي

كانت سائدة في فترة من الفترات في الشعوب الإسلامية والتي كانت أساس كل نشاط أو عمل، وبغياب الروح الجماعية تفسد العلاقات الاجتماعية، "والعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم، فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا، إذ يدور النقاش حينئذ لا لإيجاد حلول المشكلات، بل للعثور على أدلة وبراهين".

وعقدة "الأنا" أصبحت سيطرتها تفوق كل عقدة، واكتسحت كل المجالات لا المجال الاجتماعي وحده، فنحن حين نقوم بدراسة أمراض مجتمع معين، من مختلف جوانبه الاقتصادية والسياسية... فإننا في الواقع ندرس "أمراض" الأنا في هذا المجتمع وهي الأمراض التي تتجلى في لا فاعلية شبكته الاجتماعية". وإذا ما أرجعنا هذا للاعتبار النفسي، فإن حكمتنا سيكون على ظواهر الأشياء لا على جواهرها، لأن هذه العقدة تسببت في فساد مجتمعات عديدة، "وكل علاقة فاسدة بين الأفراد تولد فيما بينهم عقدا كفيلة بأن تحبط أعمالهم الجماعية، إما بتصعيها أو باستحالتها". جدلية العوالم الثلاثة وعندما نتحدث عن فساد العلاقات الاجتماعية فإننا نقصد بالدرجة الأولى فساد "عالم الأشخاص" وطبيعي أن يتأثر "عالم الأفكار" و"عالم الأشياء" بفساد "عالم الأشخاص"، وبالتالي السقوط يلحق بالمستوى الاجتماعي ينتج عنه سقوط "عالم الأفكار"، أو المستوى الفكري، وإن كان في الحقيقة سقوط الثاني، في الغالب ينجم عنه سقوط الأول، ويلحق السقوط أيضا بعالم الأشياء، باعتبار تلك العوالم الثلاثة كل لا يتجزأ، ولأن "غنى المجتمع لا يقاس بما يملك من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار".

قد يتعرض مجتمع ما لكارثة طبيعية مثلا تذهب بعالمه، ولا ينقذ منها إلا النزر القليل أو لا شيء، فيجد نفسه أمام أزمة تجتاح "عالم

الأشياء"، وهو مضطر للعمل من أجل إقامة أسس هذا العالم من جديد، ولكن الأزمة ستكون أمر وأعظم وقعا، بل إنذارا بالخراب المستمر إذا فقد هذا المجتمع "عالم أفكاره"، لأنه على الأقل إن حافظ على هذا الأخير، سيتمكن من إقامة صرح عالم الأشياء من جديد.

وفي مقابل أهمية "عالم الأفكار" بالنسبة لقيام "عالم الأشياء" نجد أن عالم الأفكار لا يمنع حدوث الهزيمة والاضطراب في مجتمع ما، إذا ما افتقر لشبكة العلاقات الاجتماعية، والتي تقوم على عالم الأشخاص لأن "فاعلية الأفكار" تخضع لشبكة العلاقات،-أي لا يمكن أن تتصور عملا متجانسا بين الأشخاص والأفكار والأشياء دون هذه العلاقات الضرورية. وكلما كانت شبكة العلاقات أوثق، كان العمل مؤثرا، لأن هذه العلاقات الخاصة بعالم "الأشخاص" هي التي تقدم الروابط الضرورية بين الأفكار والأشياء في نطاق النشاط المشترك الذي يقوم به مجتمع ما. ومن خلال الحديث عن هذه العلاقات الخاصة بعالم الأشياء يمكن القول: إن "أي مرحلة من مراحل النمو الاجتماعي متميزة بغلبة عنصر ثقافي محدد.

ومن هنا يمكن أن نسجل النقطة الأولى التي تكشف لنا علاقة ما هو اجتماعي بما هو ثقافي، والدور الذي تقوم به الثقافة في توجيه الجماعات الإنسانية، على أن كل جماعة إنسانية تخضع لثقافة معينة تختلف عن ثقافات الجماعات الأخرى، ومالك بن نبي يعتبر جميع العلاقات السائدة بين الناس، علاقات ثقافية، أي أنها خاضعة لأصول ثقافة معينة، ويلخص هذا الأمر بقوله: "إن الثقافة هي المحيط الذي يصوغ كيان الفرد..."

هـ- النافعية (الفعالية) في فكر بن نبي لا النفعية : ويرى مالك بن نبي أن أبرز المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي المعبر عن التفكير وعن العمل ، وهو في المجال النفسي يدل على انعدام الرباط المنطقي بين الفكر ونتيجته المادية ، وقد عالج هذه المشكلة تحت عنوان : "المنطق العملي" وفرق بين الكفاءة والفعالية ، وفصل القول في العلاقة بين الفكر والفعل وبين العلم والعمل ، وقد استفدنا من ذلك كله في صياغة "منظومة الرشد" التي تعنى بنقاط ثلاث هي:

1- ذاتية إتباع الأسباب

2- حرية الفعل والفكر

3- سداد المسلك

ونحن في حاجة ماسة إلى فاعلية بلا براغماتية ، ولعل مصطلح "النافعية" يكون الأنسب لذلك وهو مأخوذ من حديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم- "اللهم إني أسألك علما نافعا" ، فإذا كانت النفعية تخص الثمرة المادية القريبة والبعيدة، فإن النافعية تعالج الثمرات القريبة والبعيدة، ونجد ذلك في قوله تعالى " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " (سورة الكهف، الآية 110)

وإن من عدم الفعالية: أن يحمل المسلم أفكاراً صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في دنيا الواقع، كفريسة تعرضت للشلل حتى يسهل ابتلاعها، لأن البيئة التي تحيط به وتغذيه بثقافتها أصبح مثلها الأعلى هو الزهد الأعجمي والصوفية أصحاب المرقعات، ولا يتمثلون بعمر بن الخطاب أو بعبد الله بن المبارك أو الإمام مالك، (والمسلم في هذه الحالة

إنما يغالط نفسه، فيهرب إلى هذه التعلات الصوفية الكاذبة(آفاق جزائرية: 23) ،

وفي المقابل: نجد عند الغربيين أفكاراً قد لا تثبت أمام النقد الموجه لها ولكنهم استخدموها إلى أقصى ما يستطيعون، مثل: فكرة (التقدم)، والمسلم يحمل القرآن ولكنه لا يستفيد منه كثيراً في التخطيط لهضة قادمة، فعقلية ما بعد الموحدين تشله عن الإبداع، هناك خلل في طريقة تفكيره، فعندما اكتشف ابن النفيس الدورة الدموية لم يستفد منها المجتمع الإسلامي لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط هذا الاختراع بالرعاية، والمشكلة: (أن مجتمع ما بعد التحضر يسير إلى الخلف بعد أن انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلته بها)محمد العبدية : (2014)

يبدو أن مالك بن نبي شخص واقع المجتمع العربي من خلال إشارته إلى انعدام (المنطق العملي) لدى أفرادها في حياتهم ، وهو يرى بأن في حياتهم اليومية - اللافاعلية - وإن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة وإنما منطق العمل ، وهو بذلك بجانب لما يأمره به القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة لقمان (واقصد في مشيك) وقوله (ولا تمش في الأرض مرحاً) 7- ماهية التربية في مشروع مالك بن نبي:

لكي نقدم المفهوم الصحيح للتربية ومسوغاتها عند مالك بن نبي، يجب أن نتحرّر من تلك الفكرة المستقرّة في أذهاننا، والتي تربط التربيّة بالطفل وبالمؤسسة التعلّيميّة وما لحق بها من برامج وطرق ووسائل، وما إلى ذلك ..

إنَّ التَّربِيَّةَ المُستهدفةَ هنا تُخرجُ عن هذه الأطرِ المعهودةِ، وإن كانت المدرسة والتَّعليمُ جزءاً منها. إنَّها تربيَّةٌ نوعيَّةٌ تتعلَّقُ بالإنسانِ، "إنسانٌ ما بعد الحضارة"، وبوسطه الثَّقافيِّ والاجتماعيِّ، إذن فما هي مسوِّغات الحديث عن التَّربيَّةِ عند مالك بن نبي؟

على الرَّغمِ من أنَّ صاحب "شروط التَّهضة" لم يخصِّصْ ولو كتاباً من ضمن مؤلَّفاته يعالج فيه موضوع التَّربيَّةِ بالكيفيَّاتِ (المقاربات) المتداولةِ بين المختصِّين وفي الأوساط الأكاديميَّةِ، فإنَّ ذلك لا يمنع من اعتبار إنتاجه الفكريِّ إنتاجاً في التَّربيَّةِ، فعلاوة على أنَّ مؤلَّفاته لم تأت خاليَّةً تماماً من أفكار تربيويَّة صريحة، فاهتمامه بالإنسان لا يمكن إلا أن يدفعنا إلى التَّساؤلِ عن السرِّ.

إن المتعمَّن في كتابات مالك بن نبي الفكرية يمكنه الجزم بأنَّها كتابات في التربية بالمعنى العام للكلمة. فإذا كانت هذه الكتابات تتمحور حول فكرة الحضارة ومشكلاتها، إذ أنها تنطلق من الحضارة لكي تصل إليها، فإنها تجعل من الإنسان حجر الزاوية في عملية التغيير المرتقب وهو مستهدف من هذا التغيير في نهاية المطاف. فعن طريق التربية يرتقي الإنسان من حالة (الفرد) المرتبط بالنوع الإنساني إلى حالة (الشخص) الذي يرتبط بالجماعة وبالإنسانية برمتها ليساهم من ثم في تطويرها وتحضرها، فما مفهوم هذه التربية التي يعزى لها القيام بهذه المهام الثقيفية التحضيرية؟ وما مميزات التي تجعل منها تربية نوعية؟

نجيب على هذه الأسئلة من خلال قراءة تربوية من الناحية النظرية لفكر مالك بن نبي، وكما هو معروف في فكر مالك بن نبي أن لديه مشروعا نهضويا حقيقيا ومتكاملا يسعى إلى إقامة حضارة تحصن الأمة من ويلات الأمم الأخرى، وإن غياب هذه الحضارة هو الذي يدفعنا إلى البحث عن أسباب هذا الغياب وعن المشكلات، وإن غياب الحضارة ما هو إلا غياب لرأس مالها، أي لإنسانها، ولذلك فلا بد من إعادة تأهيل هذا الإنسان ولن يتأتى ذلك بمنأى عن التربية. ولكون تحقيق الواقع المنشود لا يتأتى إلا بتغيير الواقع المشهود، وهذا يقودنا إلى البحث عن العلاقة بين التربية والتغيير. ومن هنا يتضح بأنه لما كان التغيير الذي ينشده بن نبي ينطوي على مفهوم عام وواسع يشمل الإطار الثقافي برمته، كان مفهوم التربية الملازم له أيضا مفهوما عاما واسعا، يتجاوز حدود التربية الشكلية (المدرسة) وكل ما لحق بها من مقررات ووسائل وطرق تعليم وما إلى ذلك. هذا ما تؤكده عبارته (المدرسة لا تحل وحدها مشكلة الثقافة، لان حلها يبدو متأتيا عن شروط أكثر عموما) (محمد بغداد باي:2014)

وإن كانت التربية- كما يبين لنا الكاتب محمد بغداد باي -، والتي يتطابق معناها مع معنى الثقافة، آلية لإنتاج النمط الحضاري في المراحل التاريخية الأولى لميلاد المجتمع، فإنها أيضا آلية لبعثه من جديد و للمحافظة عليه في المراحل اللاحقة من تطوره. و الآلية هذه يتحدد مداها - بصورة عامة - في إطار المنتج القيمي للمجتمع. و هي إذ تنصب على ذلك المنتج، فإنها تضع في الحسبان شيئا أساسيا: تجديد ذلك المنتج

القيمي و البحث عن أساليب تفعيله بما يخدم الفرد المعاصر المنتهي لذلك التراث القيمي و النمط الحضاري، و ذلك بهدف تحقيق تواصل حضاري بين أفراد و أجيال الأمة الواحدة.

و الحضارة و إن كانت -كما يصفها الكتاب أيضا من خلال تحليلات الباحث القيمة والعميقة للرؤية الحضارية لمالك بن نبي- بمثابة انبعاث، إعادة بناء، بحث عن مبررات الوجود والبقاء، هي وعي بضرورة التغيير...، و لكن كل ذلك مشروط بتربية الوعي الحضاري والنقدي للفرد و الجماعة، وتهذيب الوجدان، وترقية الذوق العام ومختلف القيم، و توفير الضمانات، و تشجيع الحرية كسلوك. و هذا منوط بالتربية (محمد بغداد باي : 2014)

طبيعة التربية عند مالك بن نبي تجمع بين الفرد والمجتمع وهي نظرة وسطية وليست متطرفة، وهي تهدف الى تركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد.

1/7- الجوانب المستهدفة في العملية التربوية عند بن نبي:

أ- التربية الأخلاقية:

وتهدف الى تشكيل وبناء "عالم الأشخاص" الذي يتسنى من خلاله تشكيل "عالم الأفكار" و"عالم الأشياء" وهذا عن طريق عمليات الترويض والتهذيب والتوجيه ، وهذا منهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال " انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

وإن أخطر مرض أصاب المسلمين هو الانفصام بين النموذج القرآني والتطبيق العملي، فقد انعدمت الدوافع الآلية التي حركت الرعيل الأول من الصحابة، وبلّغها قول الفرزدق الشاعر للحسين بن علي - رضي الله عنه - واصفاً أهل العراق: (قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية)، وبدأ ضمير المسلم يتهرب من الحقائق المنزلة (وحركة الخوارج والمعتزلة مثال على ذلك) ، ولكن هذا المرض ازداد فشواً في مجتمع (ما بعد الموحدين)، فأصبح المسلم نتيجة لغروره لا يحاسب نفسه، ولا يعترف بأخطائه، وأصبحت المعادلة: (بما أن الإسلام دين كامل وبما أنه مسلم، فالنتيجة أنه كامل، وبذلك اختلت أي حركة عنده لزيادة الجهد والتقدم) ونتيجة لهذا الخلل ضعفت الروابط الاجتماعية: (فعالما الأشخاص لا يتألف ضمن منهج تربوي، يهتم بالأخلاق) ، وهذا التألف مهم جداً، قال - تعالى (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ) (سورة الأنفال) ، ومبدأ المؤاخاة الذي قام بين المهاجرين والأنصار أصبح من الخطابات السعيدة، والأخوة الإسلامية أصبحت كلاماً للزينة وشعور تحجر في نطاق الأدبيات، وهذا الضعف يقصد به المجتمع ككل ولا يقصد به كل فرد، فلا يزال في الأمة (كأفراد) خير كثير، ولا يزال الناس في الريف أقرب للفترة (محمد العبدية : 2014)

ويرى مالك بن نبي أن هذه الروح الخلقية منحة الإلهية جاءت بها الأديان السماوية، ودورها هو إقامة علاقات إجتماعية بين الأفراد وفق منهج إجتماعي نجده في قوله تعالى (وألف بين قلوبهم ، لوأنفقت ما في الأرض

جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)

16(سورة الأنفال: الآية 8)

ب-التربية الجمالية:

و هي التي تهدف إلى تشكيل الذوق العام وتجميل النفس والمحيط، وذلك بجعل النفس تستهجن وتنفر من كل قبيح في الأقوال والأفعال والمناظر و الأشكال والأصوات والروائح وغيرها، وبالمقابل تستحسن الجميل وتسعى في طلبه. ولقد أكد ديننا الحنيف على هذا النوع من التربية فيقول الله تعالى في القرآن (...خذوا زينتكم عند كل مسجد ...) ويقول صلى الله عليه وسلم " إن الله جميل يحب الجمال ..." ويقول " نظفوا أفئنتكم ولا تشبهوا باليهود.."

فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الانسان في نفسه نزوعا الى الاحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات، ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية كبيرة، إذا ما عددناه المنبع الذي تصدر عنه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع (مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، 1984: 82)

ت-التربية الإنمائية:

أما التربية الإنمائية فهي التي أشار إليها الأستاذ محمد العبدية من خلال تركيزه على خللين سماهما :

1- ذهان السهولة (مرض السهولة): يميل المسلم في تقويمه للأشياء إما للغلو فيها أو للحط من قيمتها، ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض: فإما

أن الأمور سهلة جداً ولا تحتاج إلى تعب وكد فكر، والحل بسيط، وإما أن الأمور مستحيلة، وأبرز مثال على مرض (السهولة): قضية فلسطين، فقد قيل: إن إخراج اليهود سيتحقق بعد أشهر، ولو نفخنا عليهم نفخة واحدة لطاروا، ولكنهم في الحقيقة لم يطيروا، (وهناك من يظن أنه بخطبة رنانة تحل مشاكل المسلمين، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنه يؤثر السهولة ويكتفي بتفسير سطحي، وعندما تخطط السياسة طبقاً لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إلى تيارها كثيراً من الناس ذوي النوايا الطيبة، ممن يقدرّون الأشياء بناء على سهولات الحاضر لا على صعوبات المستقبل).

وأيسر طريق لأصحاب السياسات الانتهازية أن يستخدموا كلمات مثل: الاستعمار والإمبريالية والوطنية؛ للتغريب بالشعوب، هذه الكلمات التي (تليق جداً لتشجيع المنحدر حتى يكون الانزلاق عليه نحو السهولة ميسوراً جداً) (محمد العبدية : 2014)

2- زهان الاستحالة: وقد يحدث العكس، فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزاً، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضحّمها عمداً حتى لا يتعب نفسه في الحل، أو أنه يشعر بضالة نفسه وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة، وفي فترة كانت بعض الشعوب تنظر إلى صعوبة إخراج المستعمر.

فالمسلم في هذه الحالة يواجه عقدة نفسية ، ساهم مالك بن نبي في تخليصه من هذه العقدة التي تجعل المرء يعزوتأخر حركة النهضة والنمو

في مجتمعاتنا العربية الى صعوبات والى طبيعة هذه المشكلات التي تواجه هذا التطور والنمو، عوضا أن يعزوها الى نفسه من الناحية العقلية في ادراكه لهذه المشكلات، ومن الناحية الأخلاقية في سلوكه إزاءها (مالك بن نبي، مشكلة الحضارة، 2002: 11)

ث- التربية المدنية : وهي التي ترمي إلى تكوين الحس المدني في المجتمع وخلق الشعور الديمقراطي لدى أفرادهِ وتجسيده في سلوكياتهم، وهذا من خلال تعليم هؤلاء الأفراد فن العيش المشترك القائم على الاحترام المتبادل وفقا للمنهج النبوي القائم على التكافل الاجتماعي والمشار إليه في قوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وهذا التوجه التربوي أكد عليه القرآن في أكثر من موضع، كقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ...) ولقد ضرب المسلمون عبر التاريخ أروع الأمثلة في الجانب السلوكي التطبيقي كالإيثار، والعفو عند المقدرة ... و ذلك كله من مخرجات التربية المدنية التي أكد عليها مالك بن نبي.

ج- التربية الفنية والمهنية : يرى بن نبي أن الحرفة والصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وبناء مجده، وهي بالنسبة للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، لذلك يجب مراعاة هذين الاعتبارين في كل فن، ويحث مالك بن نبي الى ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل نظريا وعمليا مشكلة التربية المهنية تبعا لحاجات البلاد ، وهو يرى بأن تعلم

العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية، أو الاعتماد على وعود الساسة أمر مخيب للأمال ولا يفي بالغرض من تحقيق الحاجات الفردية أو المجتمعية للأمة، ويرى أن الحل الوحيد منوط بتكوين الفرد تكويننا صحيحا يقوم على التجربة العملية (مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ، (88: 1984

8- أسباب تخلف المجتمعات العربية ووصف الحلول لذلك:
حسب مالك بن نبي فان المجتمعات العربية تواجه تحديين هما التحدي الداخلي الذي يتمثل في ضرورة البناء من الداخل ، وتحدي خارجي يتمثل في التكيف مع التطورات الخارجية ، وتقف أمام المجتمعات العربية صعوبات ومشكلات تعيقها عن تحقيق ما تصبو اليه ،ويحاول مالك بن نبي إختزال هذه الصعوبات في ارتباطها بتكويننا وفطرتنا الاجتماعية فيما يلي :

1- الحالة النفسية التي يوجد عليها الأفراد والمجتمع العربي : إن المجتمع العربي عانى من مشكلتين مشكلة الاستعمار وما ترك من أثار نفسية على الأفراد والجماعات، وبعد الاستقلال يعاني مشكلة التخلف بكل أشكاله وصوره، وانقسام المجتمع على ثقافتين، ثقافة الخاصة (المتعلمين) وهي في أغلب الأحوال امتداد للثقافة الغربية، والثقافة الثانية هي ثقافة العامة المرتبطة بالأصول والمعايير الاجتماعية للأمة العربية والاسلامية، يضاف إلي ذلك من تحديات ما قطعه المجتمع الغربي من أشواط لا يستهان

بها من التقدم والمدنية، كل هذا خلق لدى المجتمع العربي حالة نفسية سلبية قائمة على التردد وضعف الإرادة وقلة الحزم، وهو يرجع أسباب تلك المشكلات إلى طبيعتها لا إلى ضعفه النفسي في مواجهة هذه المشكلات وإيجاد حلول لها .

2- الخلل الموجود في العوالم الثلاث (الأشياء- الأشخاص - الأفكار):

يرى بن نبي أن هذه الصعوبات والمشكلات مردها إلى الفرد المثقف (عالم الأفكار) والمرتبطة أساسا بالثقافة والعامل ورجل المصنع (عالم الأشياء) والمرتبطة بالسياسة، وذلك حينما نتحدث إلى السياسيين، فالقضية منوطة أولا بالثقافة التي تكون عالم الأفكار وتحدد علاقتنا به، وبالسياسة التي تكون عالم الأشياء وتحدد علاقتنا به . والجدير بالذكر هنا أن الثقافة - بما تقوم به من توجيه للطاقت الفردية- تعمل على تحقيق بناء الفرد في الداخل بالنسبة إلى مصطلحه، ولتحقيق مكانه في المجتمع بانسجام تلك المصلحة مع مصلحة المجتمع.

أما السياسة فهي توجيه للطاقت الاجتماعية لتحقيق بناء المجتمع في الداخل وتحقيق مكانه في الخارج ، فالفرد الصالح حينما يشارك في بناء المجتمع، فإن عمله هنا يعود إليه في صورة ضمانات اجتماعية تكفل له طاقاته الفردية، فهناك تكامل بين السياسة والثقافة(مالك بن نبي، مشكلة الحضارة، 2002 : 11-20

ولا يتحقق هذا التوفيق والتكامل إلا عن طريق الفرد كونه موجها للطاقت الاجتماعية، وبالتالي فإن مصدر المشكلات والصعوبات هو تكوين الفرد (عالم الأشخاص) والانسان لا يتغير بوصفه كائنا حيا

في حدود التاريخ، وانما يتغير بوصفه كائنا اجتماعيا تغيره الظروف، وحسب- مالك بن نبي - فإنه يجب على العالم أن ينظر إلى المشاكل الاجتماعية من زاوية الفعلية (المنطق العملي) وليس يعني هذا أن نغفل الجوانب الروحية في الانسان (مالك بن نبي، مشكلة الحضارة، 2002: 26)

3- القيم الاجتماعية السائدة: يرى مالك بن نبي أن المتاعب التي تواجه الفرد والمصاعب التي تعترضه في الحياة، ليس مصدرها تكوينه الخاص ولكن صلته بمجتمع معين ، ومشكلة المجتمع أو أفراده هو بعدهم عن الحضارة، فالناس -عند بن نبي- ثلاثة أصناف: إما أن يكون قبل الحضارة أو في نعيم الحضارة أو خرج من الحضارة، وهذا النوع الأخير هو الذي يسبب المتاعب والصعوبات في المجتمع مقارنة بالذي لم يدخل الحضارة، ويرجع بن نبي الصعوبات التي تواجه الأفراد والمجتمع العربي و الإسلامي إلى بعده عن الحضارة وبالتالي لا بد من الرجوع إليها لأن شروط النهضة من شروط الحضارة والصعوبات التي نواجهها هو في انتقال الفرد إلى الحضارة أو رجوعه إليها، وقد ركز ملك بن نبي على ضرورة دراسة التاريخ كمدخل للحضارة التي نستطيع المشاركة فيها وليست التي تفرض علينا لأن التاريخ يرقب سير الحضارات ويستخلص القواعد الثابتة والسنن التي لا تبدل لها(مالك بن نبي، مشكلة الحضارة، 2002: 29)

والحاصل أن الدخول إلى الحضارة من جديد لا يتأتى ولا يتم بشكل صحيح إلا من خلال الشروط الموضوعية التي وضعها مالك بن نبي

والتي تتفق مع نواميس الكون وكذا الرجوع إلى التراث الحضاري للأمة العربية والإسلامية والمتمثلة أساسا في الكتاب السماوي المتمثل في القرآن الكريم والسنة الصحيحة وجهود العلماء على اختلاف تخصصاتهم .

خاتمة:

إن العمل على تقدم الأمم والشعوب والمجتمعات لا يتأتى من فراغ، وإنما يكمن في مستوى الجهد الذي يبذله الأفراد والجماعات لدفع عجلة التغيير قدما ومواكبة كل جديد، وذلك لأجل التموّج في عالم سريع التغيير وشديد الحساسية الثقافية وبيحث عن الوسائل والأساليب لاحتواء الآخر، أو ما يعبر عنه بالعوّلة الثقافية ، ولإمكان في هذا العالم إلمجتمع المعرفة المحصن تحصينا ثقافيا كافيا يمكنه من التكيف مع كل جديد، ويضرب لنا مالك بن نبي مثلا حيا ونموذجا في هذا الشخص المفكر المثقف العالم الذي تمكن من مواجهة الكثير من التيارات الشرقية والغربية التي تستهدف كيان الأمة العربية والإسلامية، وذلك رغم قلة الإمكانيات وأساليب التضيق التي تعرض لها إبان الحقبة الاستعمارية، ورغم طول المدة الزمنية التي كان فيها مالك بن نبي يلقي محاضراته، فإن أفكاره لا زالت تؤثر في توجه المجتمعات نحو المستقبل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتربويا وتحثها على تأصيل المنهج وبناء الثقافة التي تعمل على توظيف الطاقات الإنمائية في خدمة المجتمع العربي والإنساني.

قائمة المراجع

- إنصاف أحمد ، المعرفة والتجربة . 2

3- زكي الميلاد ، (2011م) مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي (النظرية والمنهج والتطور) ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد ، بحوث الملتقى الدولي بتلمسان أيام 17-18-19 محرم 1433 هـ الموافق ل 12-13-14 ، (بتصرف)

4- عبد العزيز الخالدي (بدون تاريخ)، مقدمة شروط النهضة ، دار الجهاد ، القاهرة ، (بتصرف)

5- محمد الهادي الحسني ، (1994م) مالك بن نبي ، لمحات من حياته وقبسات من فكره ، في : الموافقات ، تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين ، العدد 03 ، الخروبة ، الجزائر ص 279-283 بتصرف

- محمد البشير مغلي (بدون تاريخ)، مالك بن نبي كان أمة واحدة – براعة فكرية 6 ومهارة تحليلية – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة ، (بتصرف)

7- مالك بن نبي، عبد الصبور شاهين(2000)، مشكلة الثقافة، بدون طبعة، دارالفكر ، دمشق .

8- محمد بابا عبي ، (2011م) مشكلة المعرفة والخصوصية الإسلامية عند المفكر مالك بن نبي ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد، بحوث الملتقى الدولي بتلمسان أيام 17-18-19 محرم 1433 هـ الموافق ل 12-13-14 ، (بتصرف)

9- محمد العبدية، قراءة في فكر مالك بن نبي 2 ، مشكلة الحضارة ، تم استرجاعه في

www.devalicom.net : 2014/1/10 على الرابط

10- محمد بغداد باي ، (2011م) التربية في مشروع مالك بن نبي الحضاري مفهومها

ومميزاتها، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان عاصمة الثقافة

الإسلامية ، مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد

، بحوث الملتقى الدولي بتلمسان أيام 17-18-19 محرم 1433 هـ الموافق ل 12-13-

14، (بتصرف)

التربية نبي 11- محمد بغداد باي، بحث في مفهوم التربية في تصور مالك بن

والحضارة، تم استرجاعه في 2014/1/10 على

الرابط <http://www.adobe.com/go/getflashplayer>

12- مالك بن نبي، ترجمة:عبد الصبور شاهين. (1984) مشكلة الثقافة، دمشق،

الطبعة الرابعة ، دارالفكر، بيروت

13- مالك بن نبي (2002)، مشكلة الحضارة -تأملات (دار الفكر المعاصر) بيروت)

دار الفكر (دمشق) سورية